

الرسالة

تصدرها
جمعية الدراسات القبطية
نيوجرزي - أمريكا

السنة الرابعة عشر

العدد الرابع : أبريل ١٩٩٥

أختيار البابا على ضوء تقليد الكنيسة

التقليد الكتابي بشأن اختيار البطريرك

وتقليد الكنيسة يبدأ وينتهي دائما بالكتاب المقدس . فحتى المجامع المسكونية نفسها لم ولن تستطيع أن تبتدع عقيدة جديدة ، بل كل عملها هو تحديد الإيمان وشرحه . والكنيسة الأرثوذكسية لا تؤمن بعصمة أحد من الأباء ولا بعصمة المجامع المكانية . وعلى هذا فأى قانون وأى تعليم لأحد الأباء ينادى بما يخالف الكتاب المقدس لا يمكن اعتباره جزءاً من التقليد الأرثوذكسي .

فى الكتاب المقدس لا توجد شروط خاصة بإختيار البطريرك ، لأن البطريرك والمطران والأسقف درجة كهنوتية واحدة هي الاسقفية .

وشروط الأسقف كما جاءت فى الكتاب المقدس (١٣: ٧-١٠ ، تي ١: ٦-٩) أن يكون :

- ١- بلاليم من الناحية الأخلاقية والحياة المسيحية .
- ٢- زوج امرأة واحدة .
- ٣- مدبراً وصالحاً للتعليم .

أما كيفية اختياره فتابعه من الطريقة التى أتبعها الرسل فى إقامة خدام الكنيسة . فعند اختيار الرسل متىاس ، وكذلك اختيار الشماسة السبعة نلاحظ الإجماع على :

١- اشتراك كل شعب الكنيسة (أع ١: ١٥ ، ٢: ٥)

٢- الانتخاب (أع ١: ٢٣ ، ٢: ٥)

هذا وقد استخدمت القرعة بعد الانتخاب فى حالة متىاس بينما لم تستخدم إطلاقاً بعدئذ فى الكنيسة الأولى .

أسئلة كثيرة ومتعددة حول قانون انتخاب البطريرك أثرت علناً فى المجلات العامة المصرية منذ بداية هذا العام . دون أن نحاول أى مجلة دينية أن تتدخل فى الحوار ، وكان الموضوع يخرج عن دائرة الدين . وكانت النتيجة أننا قرأنا آراء شخصية عديدة ومتضاربة ، بعضها ضرب عرض الحائط بتقليد الكنيسة ، والبعض الآخر - مع اتفاقه قلباً وقالباً مع التقليد - قدم كلامه على أنه رأى خاص به ويقطاع كبير من الأقباط . وكان أحد الأفاضل قد كتب من قبل أنه فى أقل من نصف قرن تغيرت لائحة انتخاب البطريرك ستة مرات ! ورغم أنى لا أنكر هذه الحقيقة التاريخية - إلا أن تغيير اللائحة الذى دفعت إليه تيارات مختلفة تعرضت لها المجلة فى مقال سابق (١) - لاينفى حقيقة أخرى وهى أن الكنيسة لم تحرك أعلى درجاتها الكهنوتية ، وأخطروا فيها بالتقليد ضمن تسلسل إيمانها الرسولى الذى تسلمته من القديس مرقس الرسول . وموضوع هذا التقليد هو مانرجو دراسته هنا على ضوء الكتاب المقدس ، وتاريخ الكنيسة على مر العصور ، وقوانين مجامعها المسكونية ، وأقوال آبائها .

وحتى لايمتغل أحد كلمات هذا المقال لمصلحة شخصية فى الصراعات الدائرة فى الكنيسة الآن ، أو يظن أننا نتحدث فيه عن حالات معينة ، أبداً بذكر تعليم متعلق بسر الكهنوت . فمراًراً وتكراراً تمت رسامات لإحدى درجاته الثلاث (الأسقف والقس والشماس) بطريقة مخالفة للتقليد (بالسيمونية مثلاً أو بدون أخذ رأى الشعب أو غير ذلك) - هذه الرسامات تعبر من الناحية الكنسية صحيحة (Valid, but not legal) مادام الشعب قد قبلها ولم يرفضها علانية .

عرض تاريخي لإختيار البطريرك الاسكندري في القرون الأولى

حتى مجئ القديس ديمتريوس البطريرك الثاني عشر في نهاية القرن الثاني لم يكن لكرسى الاسكندرية سوى أسقف واحد . وعند وفاة البطريرك كان يجتمع مجمع القسوس (المكون من اثني عشر قساً) مع جميع الشعب لإختيار خليفة له^(١) . وقد أختير هؤلاء البطاركة الأوائل أحياناً من القسوس، وأحياناً من عامة الشعب، وأحياناً من رؤساء مدرسة الاسكندرية اللاهوتية . وعدا هذا ليس لدينا أى معلومات تاريخية عنهم . ويبدو أنه لم تكن هناك أى شروط خاصة سوى التقوى ، كما يتضح أنهم كانوا غالباً كبار السن لأن مدة أسقفيتهم -- باستثناء أنيئانوس الذى جلس على الكرسي ٢٠ عاماً -- تراوحت بين ١١ ، ١٤ عاماً .

ومنذ عهد القديس ديمتريوس الكرام الذى جلس على كرسي مارمرقس مدة ٤٢ عاماً أزداد ارتباط الشعب المسيحي فى مصر بأسقفه . ولعل أهم أسباب ذلك ان فى عهده حدث أول اضطهاد شامل عانى منه المصريون ، وهو اضطهاد الامبراطور ساويرس . وتلا ذلك اضطهادات عديدة لم تخرج منها الكنيسة إلا بمجئ الامبراطور قسطنطين الذى بدأ هو نفسه سلسلة من الاضطهادات الأريوسية استمرت إلى قرب نهاية القرن الرابع . وبعد فترة قصيرة من السلام بدأت اضطهادات البيزنطيين للأقباط على أثر مجمع خلقدونية . هذه الظروف السياسية أعطت البطريرك القبطى مكانة خاصة لدى شعبه فأطلقوا عليه لقب «بابا» من أيام ياركلاص البابا الثالث عشر . وبسبب هذه المكانة كانوا فى أغلب الأحوال يجمعون على اختيار تلميذ البطريرك من بعده . الذى كان عادة شماساً أو قساً . وفى أحيان عديدة كان ذلك بتوصية من البطريرك السابق قبيل وفاته . وقد استمرت هذه العادة نحو ثلاثة قرون من أيام البابا ديمتريوس إلى قرب نهاية القرن الخامس حين بدأ اختيار البطريرك من الرهبان .

هل يجوز اختيار البابا من المتزوجين ؟

قبل أن نبحث موضوع اختيار البابا من الرهبان علينا أن نجيب على هذا السؤال الذى أثارته مجلة روزاليوسف فى ٣٠ يناير الماضى بعنوان بارز، ليرد عليه فى العدد التالى من نفس المجلة الدكتور ميلاد حنا بمقال كبير بعنوان «لن يوافق قبطى واحد على زواج البطريرك» ، قال فيه : «إن الهزار فى المسائل الجد غير مستحب، ولكن بقى أن السؤال قد أثير وعلينا أن نجيب عليه من واقع التقليد الكنسى الذى بدأ برسائل القديس بولس وفيها لا يذكر البتولية كشرط من شروط المرشح للأسقفية ، إلا أنها لا تمنع الترشيح . هذا ما حدث فعلاً فى القرون الأولى للمسيحية . فكما كان من الرسل المتزوج وغير المتزوج (١كو ٩: ٥) كذلك كان الأساقفة . إلا أن الكنيسة الجامعة تدريجياً وجدت أنه من الأفضل تفرغ الأساقفة للخدمة دون

أى عائق من الالتمامات العائلية حسب تعليم القديس بولس (١كو ٧: ٢٣، ٢٤) ولم يصبح هذا تقليداً عاماً فى الكنيسة قبل القرن الخامس . وكان القديس بفرنس أسقف طيبة قد أحبط محاولة من بعض أساقفة الغرب فى مجمع نيقية (عام ٣٢٥م) حين حاولوا فرض البتولية على جميع رتب الكهنوت ، حتى المتزوجين منهم عليهم ترك زوجاتهم . وقد احتفظ لنا التاريخ بأقوال القديس فى المجمع التى جاء فيها «إن الزواج مقدس كما يقول بولس الرسول ولو أننا حكمنا اليوم بالبتولية على جميع رتب الكهنوت لسبباً ضرراً للكنيسة بالقيود التى نضعها .. والصلة بين الرجل والمرأة صلة مقدسة ، لذلك وجب علينا أن نحافظ على المبدأ الذى سارت عليه الكنيسة منذ البدء وهى أن لا يتزوج انسان بعد رسامته ..»^(٢) . وهنا يجب أن نلاحظ أن الكنيسة فى القرون الأولى كانت تفضل البتولية فى الأسقف دون أن تفرضها وذلك بسبب طبيعة الخدمة . وذلك بعكس ما حدث من انحراف الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى بشأن مفهوم الكهنوت كله ، حين علمت بأنه يغير من طبيعة الكاهن فيصير فى حالة مقدسة تليق بالله الذى يخدمه . لذلك حتمت البتولية حتى على القسوس^(٣) . فضلاً عن أنه انحراف فى التعليم المسيحي عن الزواج .

والخلاصة هي أن التقليد السائد فى الكنيسة القبطية بعد القرن الخامس هو اختيار الأساقفة من المتبتلين إلا أن هذا لم يمنع إطلاقاً من اختيار من كان قد تزوج وترمل قبل رسامته كما حدث فى حالة البابا يوحنا السادس البطريرك الرابع والسبعين^(٤) . وفى حالة ترشيح القمص يوحنا سلامة للبطريركية فى هذا القرن . فتقليد سارت عليه الكنيسة خمسة عشر قرناً يلزم احترامه ، أما الاستثناء فهو يثبت حرصنا على تعليم الكتاب المقدس بخصوص سرى الكهنوت والزواج .

هل يقتصر انتخاب البابا على الرهبان ؟

لا يوجد أى تقليد فى الكنيسة يحدد الفئة التى يختار منها البطاركة ، أو الأساقفة عموماً - فقد رأينا منهم العلمانيين والقسوس والشمامسة ، منهم من كان تاجراً أو كراماً أو من عامة الشعب ، مصرياً أو سريانياً . وحين ظهرت الرهبنة ظلت عدة قرون قبل أن تصبح المصدر الرئيسى للأساقفة . وعندما أختير البابا يوحنا الأول (عام ٤٩٦م) ومن بعده البابا يوحنا الثانى (٥٠٥م) من الأديرة كان يلقب كل منهما بالراهب أو الحبيب . فقد كان هذا شيئاً جديداً فى الكنيسة وكان الرهبان فى القرون الأولى يلجأون لطرق شاذة للهروب من الرسامة وكانوا يُجرون من صوامعهم بالسلاسل إلى مقر أسقفياتهم . ومن المفارقات أن تعاليم وقوانين الرهبنة الأصلية تمنع وتحرّم بشدة قبول أى درجة من درجات الكهنوت وهو موضوع تعرضنا له من قبل^(٥) ونرجو أن نعود إليه لأننا لا نستطيع أن ننكر تقليداً سارت عليه الكنيسة منذ القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع عشر وبسبب

الدرجات الكهنوتية لأن الأسقف لا يزال درجة كهنوتية أعلى من الاسقفية . ولا توضع عليه اليد من جديد (وإن كان هذا قد حدث مع الاسف الشديد أثناء صلوات إقامة البابا يونس التاسع عشر عام ١٩٢٨ وهي أول مرة في تاريخ الكرازة المرقسية كلها يصبح أسقف إحدى الأبرشيات بطريركا) . والكنيسة محددة بقوانين المجامع المسكونية في هذا الشأن : فالأسقف ترتبط رسمته بالمكان (الأبروشية) الذي يرسم لرعاية شعبه لأن معنى كلمة أسقف «الناظر من فوق» . كذلك يرتبط القس بالمذبح الذي يرسم عليه . لهذا منع القانون الخامس عشر لمجمع نيقية ، أن يتقل أسقف أو قس أو شماس من مدينة إلى مدينة . وهذا هو نفس مايفعله الأسقف الذي ينتقل ليصير بابا الاسكندرية . والقانون السادس لنفس المجمع المسكوني ثبت سلطة الاشراف على مصر وليبيا والقمص مدن الغربية لأسقف الاسكندرية . فإذا ذكرنا أن المجمع أصدر هذا القانون خصيصا لمواجهة بدعة ملتيوس أسقف أسبوط الذي اعتبر نفسه بطريركا على الاسكندرية . فإننا نرى أن هذا هو بالضبط مايفعله مطران البحيرة أو أسبوط أو جرجا عندما يصير بطريركا للكرازة المرقسية .

وطوال المدة التي خالفت فيها الكنيسة القبطية التقليد والقوانين المقدسة بخصوص الكرسي البطريركي (١٩٢٨ – ١٩٥٦) لم ينقطع سيل المقالات والبحوث التي كتبها علماء الكنيسة ومؤرخوها في مهاجمة تلك الأوصاف . من هؤلاء نذكر جرجس فيلوثاؤس عوض ، يمس عبد المسيح ، إيريس حبيب المصري ، وهيب عطالله (أنبا غريغوريوس حاليا) ، البرت برسوم سلامة ، نظير جيد (قداة البابا شنودة الثالث) الذي كتب مقالات عديدة من بينها ماجاه في مجلة مدارس الأحد في أبريل ١٩٥٤ (ونقله هنا عن مجلة روزاليوسف عدد ١٣ فبراير الماضي) :

«ان قوانين الكنيسة لا تمنع في اختيار علماني لمنصب البطريركية في الوقت الذي ضيع فيه اختيار المطارنة لهذا المنصب» .

وضع الأسقف العام ؟

إذا كان أسقف الأبروشية لا يستطيع أن يتركها ليصير بطريركا للاسكندرية فماذا عن الأسقف العام ؟ هذا هو السؤال الحائر الآن والذي يحاول الكثيرون عينا الإجابة عليه . ولا يمكن أن نأخذ إجابة سليمة من الناحية الكنسية قبل أن نعطى إجابة عن سؤال أكثر خطورة وهو ماهو الأسقف العام ؟ وقد سبق أن سألت هذا السؤال من قبل (٧) . ولآن لم يطوع أحد من اللاهوتيين في الكنيسة بعمل بحث في هذا الموضوع .

وقد استحدث البابا كيرلس السادس نظام الأسقف العام في سنة ١٩٦٢ (٨) فجاء وبدون مقدمات . ورغم رسامة عدد من الأساقفة العموميين بعد ذلك لم نسمع أن الموضوع بحث على أى مستوى كنسى حتى صدرت لائحة المجمع المقدس التي تقررت في جلسته المنعقدة في أول يونيو ١٩٨٥

الانحراف عنه في القرن العشرين متاعب لا حصر لها . غير أننا يجب أن نوفق بين تقليد الكنيسة (في رسامة غالبية الاساقفة والبطاركة من الرهبان) وتقليد الرهينة الذي يمنهم من قبول الرسامة حتى في درجة قس والذي لا يمدّم إطلاقاً للخدمة في العالم . وهذا موضوع يحتاج إلى دراسات جادة لأن الراهب الذي لا يعرف سوى حياة التأمل ، ولم يتعلم كيف يمسو الكنيسة وكيف يعيش ويعمل بين الناس لا يصلح لرعاية الكنيسة وخير منه القس أو العلماني الذي يعيش وسط العالم .

هل يختار البطريرك بالقرعة ؟

كان البطريرك يختار عادة في كنيستنا بإتفاق جميع الشعب إلى أن ذكر تاريخ البطاركة استخدام مايسمى «القرعة الهيكلية» في أختيار البابا يوحنا الرابع في القرن الثامن . وذكر أن القرعة أقيمت ثلاث مرات وكانت النتيجة واحدة كل مرة . ولم يذكر قبل ذلك استخدام هذه الطريقة بهذا الشكل وإن كان كلمة قرعة استخدمت مع كلمات «مشاورة الشعب» و «اتفاق الرأي» عند اختيار كروندوس البطريرك الرابع . وقد استحدث نظام القرعة في أيامنا منذ أختيار البابا كيرلس السادس عام ١٩٥٩ . ولست أدري إن كانت تكررت بالفعل ثلاث مرات كما حدث في رواية تاريخ البطاركة .

ويحاول المنادون بنظام القرعة الهيكلية الاستناد إلى حادثة معياس الرسول ناسين أن ذلك حدث قبل حلول الروح القدس على التلاميذ . أما بعد ذلك فلم نسمع عن هذا النظام ولم يأمر الرسل به لأن ذلك يلغى وجود الروح القدس في كل مؤمن وهو «روح الرب روح الحكمة والفهم . روح المشورة والقوة . روح المعرفة ...» (اش ١: ١١) .

وقد أكدت الدسقولية أن يقام الأسقف بإختيار الشعب كله دون أن تذكر شيئا عن القرعة .

هل يوجد في تقليد الكنيسة ما يحدد سن البطريرك أو الأسقف ؟

حددت الدسقولية من شروط الأسقف «لا يكون عمره دون خمسين سنة» وكنيستنا – وهي الوحيدة من كنائس العالم في ذلك – تعتبر الدسقولية المصدر الأول لقوانينها . وربما حدثت استثناءات نادرة لعل أشهرها البابا أثناسيوس الذي رسم في حوالي الثلاثين من عمره . ولكن الاستثناء لا يكون القاعدة ، وللأسف لم نسمع عن أثناسيوس آخر من بين الكثيرين الذين رسموا دون الخمسين عاماً .

هل يجوز ترقيّة الأسقف والمطران ليصير بطريركا ؟

ليست المسألة عملية ترقيّة كالوظائف الحكومية . أو صعود في

ملاحظات:

- (١) حول لفتاير بطريرك الاسكندرية . الرسالة - مايو ١٩٩٣ .
- (٢) تاريخ البطاركة لأبنا ساويرس أسقف الأشمونين ، تاريخ الكنيسة القبطية للقسس منسى يوحنا .
- (٣) تاريخ الكنيسة لقسراط ١١: ١١ ، تاريخ الكنيسة لموزومين ٢٣: ١ ، قصة الكنيسة القبطية لإيريس المصري - لجزء الأول من ١٨١ .
- (٤) Daniel Donovan : What Are They Saying About the Ministerial Priest- hood. Paulist Press. P.90.
- (٥) تاريخ الكنيسة القبطية للقسس منسى يوحنا من ٤٠٩ .
- (٦) «مريم .. مريم .. لماذا تتركين النصبوب الصالح» - الرسالة - يونيو ١٩٨٥ .
- (٧) الأوضاع الكنسية للماضرة علي ضوء تقليد الكنيسة (نوفمبر ١٩٨١) ، الرسالة - السنة للتداسة - يناير ١٩٩٠ .
- (٨) يوجد حالتان في تاريخ الكنيسة رسم فيها مايسى «الطران العام» ، الأولى أهام البابا مرقس الثامن (البطريرك ١٠٨) حين رسم الأنبا بطرس الجاولى مطراناً عاماً على الكرسي المرقسى لمساعدته في شيخوخته . ثم أقيم بطريركاً في اليوم الثالث لفتاحة الأنبا مرقس . (فوضته أيام سلته بمدير كأسقف مساعد) . ولعائلة للقائبة كانت عندما خلا الكرسي بعد البابا بطرس الجاولى ولم يتمكن الأقباط من رسامة بطريرك بسبب معارضة الخديوى ، فرسم الأنبا كيرلس الرابع مطراناً عاماً إلى أن وافق الخديوى على ترقيقه بطريركاً . كذا الحالين (وهي حالات غير عادية في تاريخ الكنيسة) تختلطان عن وضع الأسقف العام علنا الآن الذي أصبح دعامة .
- (٩) أى مطران أو بطريرك - إلا أنها من الناحية الكهنوتية نفس درجة الأسقفية .
- (١٠) قراءات في تاريخ الكنيسة المصرية للدكتور منير شكرى ١٩٩٣ . من ٦١١ - رابع أيضا الاسكندريديا القبطية (Volume 6, P. 1911) .

وجاء فيها ذكر الأسقف العام فى البند رقم ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٥ . ومنها نعرف أنه «لايحتاج إلى تزكية من شعب» ومهمته مساعدة البابا أو بعض أساقفة الأبروشيات ، «ويجوز ترقيقه إلى درجة كهنوتية أعلى» (٩) أو «تعيينه أسقفا لكرسى فى إيبارشيه خالية» .

هذه اللائحة صدرت ونشرت وهى القانون فى الكنيسة الآن والذي تسير عليه . إلا أن القانون لا يصنع التقليد الكنسى . والقانون الذى يتعارض مع التقليد الكنسى يجب أن يبحث ويعدل إن كان يحتاج إلى تعديل . فحين قرر المجمع المقدس عام ١٩٢٨ «العمل دائماً بمبدأ وجوب ترقية أحد المطارنة أو الأساقفة إلى رتبة البطريركية عند خلو الكرسي» ، فإن هذا لم يلغى تقليد الكنيسة الأصلي بعدم جواز ذلك . ولكن المشكلة الآن هى وجود أساقفة بدون أبروشيات . يعلق على ذلك الدكتور منير شكرى قائلاً :

«لم يحدث فى تاريخ الكنيسة القبطية أن منحت الأسقفية لشخص بدون إيبارشية ، أى بدون مجموعة من البشر ينتخبون الأسقف الذى يقوم بخدمتهم ورعايتهم . إنه يكون بمثابة تصور رأس بدون جسد تحيا به ، وأن الدرجة الكهنوتية فى هذه الحالة تعتبر إستحالة قانونية وتستحيل فى فراغ» (١٠) .

ورغم أن المؤرخ الكبير بهذا الأسلوب يعبر عن استنائه من وضع جديد فى الكنيسة إلا أننا لانوافق على النتيجة اللاهوتية التى وصل إليها بخصوص استحالة الدرجة الكهنوتية ولازلنا نصر على وجوب عمل بحوث تاريخية وعقائدية حول وظيفة وسلطة وشرعية وجود الأسقف العام .

من نصوص لائحة المجمع المقدس ، ومن ملاحظتى المحدودة لأعمال الأساقفة العموميين خلال الثلاثة والثلاثين سنة الماضية ، أستطيع أن أفهم أن الأسقف العام هو أسقف مساعد للبابا (أو لأى من الأساقفة الآخرين يرافق على الاستعانة به) . ونظام الأسقف المساعد هو أيضاً نظام جديد فى كنيسنا استحدثته اللائحة . وهو مخالفة صريحة للقانون الثامن لمجمع نيقية المسمى الذى جاء فيه : لايجوز أن يكون هناك أسقفان فى مدينة واحدة .

لقد آن الآوان أن تبحث هذه الأمور قبل أن ندخل فى دوامة جديدة . فنحن لانعيش الآن فى عام ١٩٦٢ حين كانت الكنيسة مأخوذة بقداسة البابا كيرلس السادس ومعجزاته وتعتبره معصوماً من الخطأ . ولافى عام ١٩٧١ حين تقدم للترشيح لكرسى البطريركية ثلاثة من الاساقفة العموميين ، لهم شخصياتهم القوية ، وتاريخهم الطويل فى خدمة الكنيسة ، وعلمهم الواسع . بحيث لم يخطر فى بال أحد السؤال الذى نسأله الآن بصوت عالٍ ونريد إجابة عليه من واقع التقليد الكنسى وهو :

ماهو الأسقف العام ؟

دكتور رودلف ينى

الرسالة

* صوت الشعب القبطى الصارخ من أجل الكنيسة وتقليدها
* هدف الرسالة الوصول إلى جميع الأقباط فى مصر والمهجر
رئيس التحرير : د. رودلف ينى (بنسلفانيا)
هيئة التحرير:

د. بولس عواد عواد (كولورادو) د. سمير حكيم (المملكة المتحدة)
د. جرجس عبد المسيح ابراهيم (مينوسوتا) د. فائق اسحق (تورنر - كندا)
د. سعد ميخائيل سعد (كاليفورنيا) د. فوزى جرجس (نيوجرزي)

Society of Coptic Church Studies
P.O.Box 714
E. Brunswick, NJ 08816

Non Profit Org.
U.S. Postage
PAID
Lebanon, Pa 17042
Permit No. 56